

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[19] وعلى هذا فلا مكان للتعجب والدهشة إذا سمعنا أنَّهُ بعد تلاشي بدن الإنسان ورجوعه إلى حالته الأولى تجتمع تلك الذرّات ثانية، وتتواصل و تترابط ويتشكل الجسم الأوّل، فلو كان هذا الأمر محالاً فلماذا وقع في مبدأ الخلق. إذاً "كما بدأكم" القرآن "تعودون" أي يعيدكم في الآخرة، وهذا هو الموضوع الذي تضمنته العبارة القصيرة. في الآية اللاحقة يصف سبحانه ردود الفعل التي أظهرها الناس قبال هذه الدعوة (الدعوة إلى التوحيد والخير والمعاد) فيقول: (فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة). (1) ولأجل أن لا يتصور أحد أن يهدي فريقاً أو يضلّ فريقاً من دون سبب، أضاف في الجملة ما يلي: (أنّهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) أي إنّ الصّالين هم الذين اختاروا الشياطين أولياء لهم بدل أن يدخلوا تحت ولاية الله، فضلوا. والعجب أنّهم رغم كل ما أصابهم من ضلال وإنحراف يحسبون أنّهم المهتدون الحقيقيون (ويحسبون أنّهم مهتدون). إنّ هذه الحالة تختص بالذين غرقوا في الطغيان والمعصية، وكان انغماسهم في الفساد، والضلال والإنحراف، والوثنية، كبيراً إلى درجة أنّهم انقلبت حاسة تمييزهم رأساً على عقب، فحسبوا القبيح حسناً، والضلال هداية، وفي هذه الحالة أغلقت في وجوههم كل أبواب الهداية، وهذا هو ما أوجدوه وجليوه لأنفسهم.

* * * 1 - جملة "فريقاً هدى" من حيث الإعراب والتركيب تكون كالتالي: فريقاً مفعول هدى فعل وفاعل مؤخرين، وفريقاً (الثانية) مفعول مقدم. وأصل فعل وفاعل مؤخران مقدران دل عليهما جملة "حق عليهم الضلالة".